التَّنظير الفلسفيّ الأمريكي للحرب (صقور واشنطن)

■ د. ناريمان عامر[1]

ملخّص

يتناول البحث المشهد الفلسفيّ السّياسيّ الأمريكي، لمحاولة الكشف عن الجذور النَّظرية للسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأميركية، الّتي أثرت على شكل الحروب في تاريخها المعاصر. وكان أن تناول أهمّ مفكري السّياسة وفلاسفتها، وهم (ليو شتراوس) ونظريته السّياسيّة الّتي تقوم على ضرورة الحفاظ على مجد الأمّة الصّاعدة أمريكا عبر نسق فلسفيّ، أُسّس لحكم الخاصّة، وضرورة إرجاع السّياسيّ لحقل القِيَم؛ لكن هذه الدّعوة إلى القيَم لم تكن لسببٍ أخلاقيّ، بل لسببٍ براغماتيّ. وبذلك تصبح القيم أداة الهيمنة الجديدة، محمولة على ما دعاه بالأكاذيب النَّبيلة. الأكاذيب النّبيلة أخذت شكلاً مجسّداً بتنظيرات كلٍّ من (صموئيل هنتغتون) وأطروحته "صراع الحضارات"، و(فرانسيس فوكوياما) بأطروحته "نهاية التّاريخ"، وما طال كلًّا من الطّرحين من جدلٍ أسَّس لحضورهما في المشهد السّياسيّ التَّطبيقيّ، حيث تلقَّفته مجموعاتٌ سياسيَّةٌ تلوَّنتْ وانبثَّتْ في مطابخ السّياسة الأمريكيَّة، لتروِّجَ لمفهوم الحرب بوصفه الأداةَ الأنجعَ لاستمرار "مجد أمريكا"، دون أن يكون لعدد الضَّحايا ولكمِّ الخراب خارج حدود أمريكا أيّ اعتبار.

الكلمات المفتاحية:
الفلسفة السّياسيّة الأمريكيَّة- ليو شتراوس- صموئيل هنتغتون- فرانسيس فوكوياما- صقور واشنطن.

1 - مدرسة الفلسفة الأمريكية المعاصرة في جامعة دمشق.

مقدّمة

عُني هذا البحث بالمشهد الفلسفيّ السّياسيّ في الولايات المتحدة الأمريكيّة، ذلك أنّ الحروب الّتي قادتها أمريكا، لم تكن سوى التّطبيق العمليّ لتنظيرات مجموعة من الفلاسفة الذين رؤوا في الحروب الأداة السّياسيّة الأنجع لاستمرار مجد الولايات المتّحدة الأمريكيّة. لذلك تطرّق البحث إلى ثلاثة من الفلاسفة الأهمّ في هذا المشهد: المعلّم (ليو شتراوس) وتلامذته (صمويل هنتغتون) و(فرانسيس فوكوياما). وركّز على التّنظير الّذي تناول أهمية الحروب والأسس الفلسفيّة، الّتي اعتمدوا عليها لتبرير قولهم الفلسفيّ، والمجموعات السّياسيّة الّتي حملت هذا الفكر، وسعت لتطبيقه في مراكز صُنْع القرار الأمريكيّ.

■ المبحث الأوّل: التّنظير الفلسفيّ للقتل

بعد الحرب على غزة 2023، أصدرت مجموعةٌ من أساتذة الفلسفة في عدّة جامعات في أميركا الشّماليّة وأميركا اللاّتينيّة وأوروبا، بياناً بعنوان «فلسفة لأجل فلسطين»، وقّع عليه أكثر من مئتي فيلسوف، عبرّوا فيه -وبشكلٍ لا لَبْس فيه- عن تضامنهم مع الشّعب الفلسطينيّ، وإدانة المذبحة المستمرّة والمتصاعدة الّتي ترتكبها إسرائيل في غزّة، وبدعم كامل ماليّ، وماديّ، وإيديولوجيّ من حكوماتهم. ولم يدّعِ هؤلاء الفلاسفة امتلاكهم أيّة سلطةٍ فريدةٍ أخلاقيّة، أو فكريّة، أو سوى ذلك، بوصفهم فلاسفة، إنّما أصدروا بيانهم انسجامًا مع ما تقتضيه الفلسفة من مواقفَ نقديةٍ للشّرّ، والانتصار لحقوق الإنسان، ورفض ومواجهة الممارسات والنّزعات الإقصائيّة عبر التاريخ، والوقوف بشكلٍ مباشر مع المظالم. لذلك دعوا زملاءهم في الفلسفة للانضمام إليهم في تضامنهم مع فلسطين، والنّضال ضدّ الفصل العنصريّ والاحتلال، بغية التغلّب على التّواطؤ والصّمت الأكاديميّ والسّياسيّ، وإدانة جرائم الإبادة الّتي ترتكبها إسرائيل

بحقّ الفلسطينيين.

لكن هل هذا هو حال الفلسفة حقًّا في تعاطيها مع السّياسة بما تتضمّنه من حروب وقتل؟

ولئن كان هذا السّؤال سؤالاً عامًّا، فإنّنا سنتناول الإجابة المتعلّقة بالحقبة المعاصرة من الفلسفة الأمريكيّة، وتحديدًا الإجابة المخالفة للموقف السّابق، والّذي كان لها التّأثير الفاعل في الفكر السّياسيّ الأمريكيّ.

أوّلاً: ليو شتراوس

لعلّ الفلسفة الشّتراوسيّة نسبةً إلى «ليو شتراوس» (1899 - 1973) Leo Strauss الفيلسوف الأمريكيّ ذي الأصول الألمانية، هي الفلسفة الأشدّ تأثيراً في الفلسفة السّياسيّة الأمريكيّة المعاصرة. فقد توّج "شتراوس" عمله الفلسفيّ الباطنيّ، بفلسفته السّياسيّة القائمة على نقد نظريّات السّياسة الحديثة، وكان مُجمل جهده منصبًّا على نقد فكرة حقوق الإنسان، فهو يرى أنَّ الفلسفة السّياسيّة منذ "ميكافيليّ" انحرفت عن مسارها التّقليديّ، المتمثّل بالفلسفة اليونانيّة (أفلاطون وأرسطو)، والفلسفة الدّينيّة اليهوديّة والمسيحيَّة والإسلاميَّة في العصر الوسيط، لتتَّخذ مساراً جديدًا مع فلاسفة التَّنوير والنَّهضة؛ المسار الجديد كما يرى شتراوس استبدل السّؤال الرَّئيس للفلسفة السّياسيّة، ما هو النّظام السّياسيّ الأفضل الأمثل؟ بسؤال: ما هو النّظام السّياسيّ الممكن؟ وما نتج عن ذلك من إضعاف لفكرة الواجب لصالح الحقّ. قد يبدو للوهْلة الأولى أنَّ هذا التَّنظير يصبّ في خانة الإعلاء من شأن الأخلاق، وإعادة السياسة إلى محددات وضوابط الأخلاق والفضيلة من جديد.

لكنّ التّعمق أكثر سيُحيل إلى أنَّ "شتراوس"، أراد هذا فعلاً لكن ليس بوصفه غايةً ترتجي الفضائل، بل بوصفه الطَّريق الأفضل لسوس النَّوع البشريّ، أي استخدام الأخلاق بوصفها الأداة الأفضل لضبط إيقاع المجتمعات، ولئن وُجد العديد من الفلاسفة ينظرون إلى الأخلاق من هذا المنظار، إلا أنّ (شتراوس) ضبط جهازه المفاهيميّ بمجمله لصالح هذه الفكرة متّخذًا من الولايات المتّحدة الأمريكيَّة نموذجًا للدّولة، الّتي عليها تبني منهجه وهذا ما حصل حتّى أمدٍ قريب، فما الّذي فعله؟

● الكتابة الباطنيّة

قام «ليو شتراوس» بإصدار كتابه «الاضطهاد وفنّ الكتابة»[1]، والسّمة الأساس في هذا

1 - Persecution and the Art of Writing.

الكتاب، أنَّ المعارف الّتي أنتجتها البشريّة تقسم إلى قسمين:

أوّلهما للعامَّة، وهي تلك المعارف الّتي يحتاجها المجتمع، ويتبنّاها أفراده، ولا غنىً عنها في سياق نموّه، وغالبًا ما تكون آراءً حول الأشياء.

وأخرى هي للخاصّة، وهي المعرفة بالأشياء. وهي معرفة تمتاز بثقلها وخصوصيّتها، الّتي لا يدركها ولا يستوعبها سوى العارفين المتفانين في سبيلها، وهي قاسية على العموم ومنفّرة لهم.

ولذلك وحسبما يرى هو، فقد تشظّى الخطاب الفلسفيّ العامّ لدى أغلب الفلاسفة العظام، إلى مستويات تتناسب مع الشّرائح الاجتماعيّة المحايثة لنتاجهم. وبذلك تكون مَهمّة الفيلسوف الحقّ، إعادة قراءة تاريخ الفلسفة بما يتناسب مع هذا المُعْطى. وسينتج عن هذا النَّهج في القراءة والتّأصيل له، العديد من النّتائج الخطيرة على المستوى الفكريّ والسّياسيّ.

فقد خلص «شتراوس» إلى أنَّ الاستبداد هو أفضل النُّظم السّياسيّة، لكنّه دعا للدّيمقراطيّة. وقد كثُرت السّجالات الفكريّة الّتي تناولت أعماله، وكانت في أغلبها تشير إلى تناقض فيما يطرح، لكنّنا نميل إلى أنَّه كان منسجمًا جدًّا مع طروحاته. فالتّنظير الأساس الّذي اعتمده يقول بإخفاء الحقيقة القاسية عن العموم، وبتظهير الأكاذيب النّبيلة، وفقاً لتعبيره نفسه. وبذلك نظّر للاستبداد والهيمنة للخواصّ، ودعا للدّيمقراطيّة أمام العامّة -والتي بدت بوصفها معارف العموم في وقته- وجعل منها أداة جديدة للهيمنة.

- **النّظام السّياسيّ الأفضل: النّظام الأمريكيّ**

وجد "شتراوس" في النّظام السّياسيّ الأمريكيّ، فكرة أفضل نظام سياسي يعوّل عليه، لكنْ ما هو المختلف من وجهة نظر (شتراوس) في نظام الحكم الأميركيّ؟! نرى أنّ ما وجده مختلفًا في نظام الحكم الأميركيّ، كان التقاطه لفكرة الحقّ الطبيعيّ، الّتي تقوم على أساس أنّ الطّبيعة بعمومها هي مرجعيّة الفكر. ينتج عن هذا أنّ العلاقات في الطّبيعة تحكمها فكرتان ناظمتان: الأولى فكرة النّموّ الطّبيعي، أي أنّ المجتمعات كالكائنات الحيّة تنمو وتتغيّر وفقًا للظّروف، والفكرة الثّانية أنّ ما يحكم هذا النّموّ هو الامتثال لقانون الطّبيعة الأقدم، وهو "البقاء للأقوى". وهذا يقوّض مرجعيّة العصور الحديثة، الّتي قامت على أساس مفهوم الطّبيعة الإنسانيّة، فحين نحتكم للطّبيعة ينتج لدينا مجتمعات وأفراد بطبيعة

هرميّـة، يحكمها التّفاوت والاختلاف وتوزّع الأدوار. لكـن الاحتكام للطّبيعة البشريّة الّتي طوّر مفاهيمها مفكرو النّهضة والتّنوير، تدعو للمساواة بين البشر وبالتّالي بين المجتمعات، وإن أتى التّطبيق مخالفًا.

وبذلـك وجد (شـتراوس) في إعلان «الاسـتقلال الأمريـكي»، التّعبير الأهمّ لفكـرة الحقّ الطبيعيّ في التّاريخ المعاصر، أميركا (الأرض الجديدة) كانت بحاجةٍ إلى اليقين، وكان لها يقينها الخاصّ، المتفلّت من الطّقوس، والمثبّت للإيمان. لقد حافظ إعلانُ الاسـتقلال على الإيمان، وعـلى شرعيّته، لقد أضاف إلى الدّيمقراطيّة واللّيبراليّة الأوروبيّة، ضرورة وجود التّشريع الدّيني المتخـارج عن الانتخابات والمعيّن بمعاييرَ خاصّة، فإلى جانب ممثّلي الشـعب «الكونغرس»، هناك ممثّلو الحكمة «مجلس الشـيوخ». وقد أكّد أنّ دعم اللّيبراليّة أو المؤسّسات الدّيمقراطيّة يتطلّب فهم مبادئ الحقوق الطّبيعيّة لمؤسّسي الدّستور الأميركيّ، والّتي أسهمت بشكلٍ أساسٍ في تأسـيس النّظام الّذي لمْ يتخلَّ عـن المحاكم ،وعن المشرّعين الّذين يقـرّون ما هو صحيحٌ وما هو خاطئ. وهذه إشـارةٌ إلى ضرورة وجود حكمة التّشريع المنبثقة من فهم قوانين الطّبيعة، كشرطٍ أساس في النّظام الدّيمقراطيّ؛ ممّا يعني بالضّرورة التّأكيد على أهميّة وجود المؤسّسات القانونيّـة، كونها الدّاعم الرّئيـس للحفاظ على النّظام من خطر الطّغيـان، والّتي تدعم الحقوق الطّبيعيّة الّتي نادى بها المؤسّسون.

وهكذا أصبح المشهد السّياسيّ العالميّ على الشّكل التّالي:

● **الأمّـة العظيمة:** الولايـات المتّحدة الأميركيّة، وهي الأمّة الّتي يجـب أن تقود باقي الأمم، وتقوم بنشر رسالتها السّياسـيّة لتقود الصّراع في العالم، الرّسالة السّياسيّة يجب أن تكون مشتقّةً من الفضيلة، أيْ الدّيمقراطيّة؛ فكان أن حملت الجيوش الأميركيّة الديمقراطيّة، على متن طائراتها وأساطيلها الجويّة لنقلها إلى العالم.

● **باقي الأمم:** وهي الأمم التّابعة للأمّة العظيمة، والمتلقّي المفترض لسياسـاتها، وهي الأمم الأوروبيّة ذوات النّظام الدّيمقراطيّ الضّعيف الّذي بدأ يتأثّر بالنّظام الأميركيّ، عبر تلقّي الرّسالة العالميّة للأمّة الأميركيّة والانصياع لها، والأمم ذوات النظام الدينيّ الذي طُوِّعَ ليلائمَ شكل الدولة الحديثة، تلك الأمم الّتي يجدها (شتراوسّ) وأتباعه سهلة الانقياد، وذلك بسبب التّقاطع الكبير في المصالح بين النّخب الحاكمة لتلك الدّول والولايات المتّحدة الأميركيّة.

كما يُشــارُ في أدبيّات الشّتراوسيّين السّياســيّة، إلى بعض الدّول التي تشذُّ عن هذا التّصنيف، مثل العراق وسورية وكوريا الشماليّة، والّتي كانت قِبْلة أنظار الشّتراوسيّين في السّياسيّة الخارجيّة الأميركيّة، من أجل تغيير أنظمة الحكم فيها. فيما بعد ستسقط العراق، وتشعل الحرب في سورية وتُحاصر كوريا، باسم الديمقراطيّة.

تطبيق هذه الأفكار جاء بشكلين:

أ- شكل تنظيريّ: إذ قام (ليو شتراوس) بالإشراف على 77 رسالة ماجستير و99 رسالة دكتوراه في الفلسفة السّياسيّة، وهنا نشير إلى أنّ العدد كان مقصوداً وذا دلالة. من بين تلامذته المذكورين لاحقــاً "صمويل هنتغتون" الّذي نظّــر لفكرة صراع الحضارات. و"فرانســيس فوكوياما" تلميذ تلميذه "ألان بلوم" الّذي صدّر فكرة نهاية التّاريخ.

ب- شــكل تطبيقيّ: ما قام به التّلامذة، أنّهم انبثّوا في مُجمل الأحزاب والتّجمّعات السّياسيّة، في محاولة لتطبيق الأفكار السّياسيّة الشّتراوسيّة، الّتي كان أهمّها الخضوع للنّظام الأقوى، وهو هنــا الولايات المتّحــدة الأمريكيّة، ومحاولة فرز بقيّة الدّول إلى دول ديمقراطيّة مُسْتنسَــخة عن النّمطّ الغربيّ؛ وأخرى دينيّة تخضع للهيمنة الغربيّة، وضرورة أن يتمّ الأمر عبر الحرب الّتي تشدّ عصب المجتمع الأمريكيّ، وتســوّغ تلك الحروب بالأكاذيب النّبيلــة، والأكاذيب النّبيلة عنده كانت، الهيمنة بدعوى نشر الدّيمقراطيّة.

وكان من أخطر النّتائج على المســتوى النّظريّ، تأصيل فكرة التّراتبيّة بين الأفراد، والشّعوب، والأمم، الأمــر الّذي يبرّر السَّــيطرة، والهيمنة، والاســتبداد، وأدواتهم في السياســات الدّاخليّة والخارجيّة، وما نجم عن تبنّي سياســة القوّة لفرض الرّؤيا السّياســيّة. فكانت النّتيجة أن أخذت الولايات المتّحــدة الأمريكيَّــة دور الشّرطيّ العالميّ، وفرضت سياســتها بالقــوّة، وبتنظير من التّلامذة اللاّحقين كما سنرى، الأمر الّذي أطاح بملايين القتلى على امتداد رقعة التّأثير والتّدخل الأمريكيّين.

ثانياً: صامويل هنتغتون.

أكثر ما عُرف به (صمويل فيليبس هنتغتون 2008- 1927) (Samuel Phillips Huntington) على الصّعيــد العالميّ كانت أطروحته بعنوان "صراع الحضارات"، والّتي جادل فيها بأنّ صراعات ما

بعد الحرب الباردة، لن تكون متمحورة حول خلاف أيديولوجيَّات بين الدُّول القوميَّة، بل بسبب الاختلاف الثَّقافي والدّيني بين الحضارات الكبرى في العالم، وهو جدالٌ تمسَّك به حتّى وفاته. يُعتبر مؤلّفه الأوّل «الجنديّ والدّولة» مقياسًا لدراسة كيفيّة تقاطع الشّؤون العسكريّة مع المجال السّياسيّ. كما عُرف عنه تحليله للتّنميّة السّياسيّة والاقتصاديّة في العالم الثّالث .آخر كتبه صدر في العـام 2004 وكان تحليلاً للهويّة القوميّـة الأميركيّة، وحدّد ما اعتبرها مخاطـر تهدّد الثّقافة والقيَـم الّتي قامت عليها الولايات المتّحدة. ويمكن القول أنّه، رغم سـطوع نجمه المتأخّر في نهايـات القرن العشرين، ظلّ واحدًا من الأكاديميّين المؤثّرين في السّياسـة الأمريكيَّة في عهود مختلفـة من حكم الدّيمقراطيّين والجمهوريّين، إذِ احتلّ عدّة مناصبَ استشـاريّة، كما عمل في البيت الأبيـض في عهد الرئيس الدّيمقراطـيّ (جيمي كارتر) في النّصف الثّاني من سـبعينيّات القرن الماضي. لكنْ شهرة (هنتنغتون) تستند إلى كتابه "صدام الحضارات وإعادة صياغة النّظام العالميّ"، الّذي صيغ لإلهام صنّاع القرار في الولايات المتّحدة والغرب، لاستخدام مقولة صدام الحضارات، بوصفها اسـتراتيجيّة سياسيّة، يمكن لها أن تحلّ محلّ الحرب الباردة، الّتي انتهت بزوال الاتحاد السّـوفياتيّ، والّتي كان قد أشار إليها (جورجي أرباتوف) كبير مستشاريّ الرّئيس السّـوفياتيّ (ميخائيل غورباتشوف) عام 1987 قائلاً: "نحن نفعل شيئًا رهيبًا لكم، نحن نحرمكم مـن عدوّ"[1]. أخذ (هنتغتون) هذا التّحذير بجدّية، وقام بالاتّـكاء عليه، وبإلهام من فكرة العدوّ والصّديق بنسج عدوّ حضاريّ للولايات المتّحدة الأمريكيَّة.

يقـول (هنتغتون): «إذا كانت الحرب في بعض الظّروف -على الأقل- تسـتطيع إحداث نتائج إيجابيّة، فهل يقود السّـلم إلى نتائج سلبية بالمقارنة؟ تشير النَّظريّة الاجتماعيّة والأدلّة التّاريخيّة إلى أنّ غياب عدوّ خارجيّ يشـجّع التّفرقة الدّاخليّة، فليس مـن المفاجئ أنّ اضمحلال ونهاية الحـرب الباردة، زادت من فتنة الهويّات القوميّة الفرعيّـة في أمريكا، كما في العديد من البلدان الأخرى، فغياب تهديد خارجيّ خطير يقلّص الحاجة إلى حكومة وطنيّة قويّة، وإلى أمّة مترابطة موحّدة»[2]. إنّ «هنتغتون» وهو التّلميذ الشّتراوسيّ النّجيب يترجم مقولة أستاذه في ضرورة بقاء الحرب مسـتعرة، وذلك عبر تقسـيم العالم إلى عدوّ وصديق، والمتتبّع لتاريخ أمريكا المعاصر

1 - هنتغتون، ص. (2005)، ص264.

2 - هنتغتون، ص. (2005)، ص266.

يلحظ أنّ أمريكا لا تستطيع الاستمرار بلا عداوات. وقد كان الاتّحاد السّوفياتي العدوّ المهيب في حياة شتراوس، كما كانت الدّول المتأثّر به العدوّ الأصغر، فقد جعلت الولايات الأمريكيَّة من الدّول الّتي طالها المدّ الشّيوعي، ووصلت لسدّة الحكم فيها القوى اليسارية التّقدميّة عدوًّا إضافيًّا، وكانت لأمريكا اللاّتينيّة الحصّة الأوفر من تدخل أمريكا في سياساتها.

يجادل «هنتنغتون» في صدام الحضارات، أنّ البشر في حُقْبة ما بعد الحرب الباردة، أخذوا يكتشفون من جديد هوياتهم الثّقافيّة، الّتي تعني لهم أكثر بكثير ممّا يعنيه أيّ شيءٍ آخر. وقد أصبحنا نرى، لهذا السبب، أعلامًا ترتفع، وصُلبانًا، وأهلّة، وأغطية رأس للدّلالة على الهويّات الثّقافيّة القديمة. ويتخوّف الكاتب من أن تؤدّي الاصطفافات الجديدة -استنادًا إلى الانتماءات الحضاريّة- إلى اندلاع حروب بين الأعداء الحضاريّين القدماء، خصوصًا أنّ البشر الّذين يبحثون عن هوياتهم الثّقافيّة، ويعيدون الارتباط بالأعراق الّتي ينتمون إليها، بحاجة إلى أعداء يؤكّدون لهم اختلافهم.

وتتّضح الأطروحة الأيديولوجيّة «لهنتنغتون» في تركيزه الشّديد، على وجود ثلاث حضارات كبرى أساسيّة من بين الحضارات السّبع أو الثّماني -أي الصّينيّة أو الكونفوشيوسيّة، واليّابانيّة، والهنديّة، والإسلاميَّة، والغربيّة، والرّوسيّة الأرثوذكسيّة، والأمريكيَّة اللاّتينيّة، والإفريقيّة-، هي الحضارات الغربيّة والإسلاميَّة والأرثوذكسيّة، ممثّلة في روسيا وما يدور في فَلَكِها الدّينيّ الحضاريّ من دول أخرى. وهو يعتقد أنّ الخطّ الرّئيس، الّذي كان يفصل الشّرق عن الغرب طوال أمد الحرب الباردة، قد تحرّك بعيدًا عن وسط أوروبا عدّة مئات من الأميال شرقًا، ليفصل الغرب المسيحيّ من جهة، والشُّعوب الإسلاميَّة والأرثوذكسيّة من جهة أخرى. لكنّ الغرب بالرّغم من هذا التّغيرُّ في الكتل الحضاريّة المتنافسة، سوف يظلّ لسنواتٍ مقبلة الحضارة الأقوى في العالم.

هذا، وقياساً إلى التّحليل الثّقافيّ ذاته، نجد أنَّه عوض أن ينطلق الكاتب وكتابه من عالميَّة القيَم الإنسانيّة، الّتي تضيف كلّ حضارة صاعدة عليها شيئًا جديدًا ومفيدًا للإنسانيّة جمعاء، وذلك في الخطّ المتدرِّج لوعي الحريّة على ما يسميه (هيغل)، ينطلق من فرادة وغربيّة تلك القيَم، وتنافسها مع غيرها من قيم الآخرين، غير الغربيّين. وغالبًا ما نرى أنَّ تلك النَّظرة الاحتكاريَّة، والمغرقة في المركزية الغربية، هي نظرة مُفعِّلة، إن لم نقل مُؤسِّسة لسياسة صراع الحضارات. وعوضًا عن

أن يكـونُ تنوّعُ الثّقافات وتوكيدُها الذاتيّ نوعاً من الغنى، الّذي يُعزّز التّعدّد في صلب الواحديّة البشريّـة، يصبح هذا التّنوع مبارزة حضاريّة لإلغاء الجميع في مقابل الواحد، أو نوعاً من الصَّهْر القسريّ للتّعدد في الواحديّة. وذلك ما يحرف مسار الكتاب نحو قيم الضّغينة والخوف من نجاح الحضارات الأخرى، حيث تصبح قوّة أيّة حضارة أو ثقافة، هي في سلب قوّة غيرها، لا في تأكيد قوّتهـا الإيجابيّة، ونجاحها هو في منع تلك الحضارات مـن النّجاح. بالمجمل نجد تلك القيم قيمًا منحطّة، بالمعنيين الثّقافي والسياسي، ومآلها هو تذكيّة الصّراعات الحضاريّة بتنسيبها ثقافيًّا، بعد تأبيد التّباين الثّقافيّ بين الأمم.

هناك خلط واضح، لكنّه يُعمي لدى «هنتنغتون»، بين الثّقافة والسّياسة، فالقانون والدّيمقراطيّة والمؤسّسـة وحقوق الإنسـان والفرديَّة.. الخ، الّتي يمكن تسـميتها اليوم بالثّقافـة الغربيّة، هي بالأصل مكتسـبات سياسيَّة، وكانت ضمن حيِّز السّياسة قبل أن تصبح ثقافة عامّة وعالميّة. كما أنّ تلـك المميّزات الثّقافية لم تهبط إلى الغرب من السَّـماء، بل جـاءت نتيجة لعمليّات تصفيّة وانتقـاء وارتقاء تاريخيّة عبر تطور الغرب وتقدّمه، ودُفعت لأجلها آلاف الحروب والدِّماء، حتَّى أصبحت على ما هي عليه اليوم. ومن نتائج هذا الخلط، أنَّه يجعل من الثّقافات في العالم جُزرًا متباعدة لا يمكن تقريب المسـافات بينها. حتَّى ولو افترضنا صحَّة هذا الطّرح، فإنّ التّغيير ليس مطلوبًا في الثّقافات تجاه أن تصبح ثقافات غربيّة، بل هو حقّ وواجب على تلك الثّقافات، لتتغير رأسـيًّا ضدّ الخامل فيها، وباتجاه مصلحتها ومصلحة شعوبها، فالتغيير أصلاً هو عملية سياسيّة تُبنى فوق الثّقافة، وتعيد إنتاجها[1].

لقد أكدّ (هنتنغتـون) أنَّ النّموّ الاقتصاديّ للصّين، هو التّحـدّي الحضاريّ للغرب من جهة آسيا، بينما النّموّ السّكانيّ لعالم المسلمين الّذين يُنجبون أفواجًا من المتطرفين، ومجنّدين جددٍ للأصوليّة، والإرهاب، والتّمرّد، والهجرة، هو التّحدّي الإسـلاميّ للحضـارة الغربيّة والرّافض لها[2]؛ أيّ أنّ الاسـتراتيجية الأمريكيَّة، لا بدّ أن تقوم على ملاقاة هذين التّطوّرين: تكبيل الصّين اقتصاديًّا، وتكبيل الدّول الإسـلاميَّة بصراعاتها، والّتي تخفّف من عدد السّـكان ومن الانشغال بالغرب.

1 - مسعود، م. (2005)، قراءة في صدام الحضارات، صحيفة الجمهورية.
2 - هنتنغتون، ص. (1999)، ص170.

وكما أشرنا فإنّ هذا الطّرح لصراع الحضارات، جاء بعد الكتاب الأوّل الّذي أراد منه (هنتغتون) تمكين الجيش الأمريكيّ، ولربمّا تجهيزه استراتيجيًّا لما يُهيَّأ في مطابخ السّياسة الأمريكيَّة. فقد قال: «إضفاء طابع مهنيّ على فيالق الضّباط، هو المكوّن الأساس لحلّ آمن يضمن تحكمًّا مدنيًّا فعّالاً على القوّات المسلحة، دون الإخلال بكفاءة منظومة الدّفاع القوميّ. وإضفاء طابع مهنيّ يعني أنّ ضباط الجيش، يجب أن يعكسوا نفس الخصائص من الخبرة والمسؤوليّة الّتي يبديها موظفو الشّركات». بالنّسبة للخبرات، يلخّصها «هنتغتون» بقدرة الجنديّ على إدارة العنف، وليس مجرد تطبيقه. فالمسؤوليّة الخاصّة لضابط الجيش هي استخدام هذه الخبرة لصالح الدّولة،- في الوقت نفسه- شهادة الخبرة هذه تأتي من فيالق الضّباط نفسها، بوصفها الجهة البيروقراطيّة الأوضح.

يتضمّن حلّ (هنتنغتون) لربط السَّيطرة المدنيّة بالدّفاع القوميّ، تمييز نوعين من الرّقابة المدنيّة:

- **سيطرة مدنية موضوعيّة:** تعتمد بشكل رئيس على أخلاقيات عسكرية مستقلة، محايدة سياسيًّا، وكفؤة مهنيًّا. تُستمد السَّيطرة المدنيّة من تحويل الجيش إلى أداة بيد الدّولة. ووظيفة الجيش في هذه الحالة، هي تطوير السّبل والوسائل لتحقيق الغايات والأهداف، الّتي تحدّدها قيادة سياسية من المدنيّين.
- **سيطرة مدنيّة ذاتيّة:** وهذه تأتي عبر تمدين الجيش بإعطائه دورًا مستقلاً في تحديد الأولويّات القوميّة؛ في هذه الحالة، الجيش هو واحد من بين مجموعات متنافسة على النّفوذ وصياغة الأولويّات القوميّة، وهو ما عارضه "هنتغتون" من حيث المبدأ[1].

وبذلك نرى كيف نظر(هنتغتون) لتنشئة جيش متأهّب لأوامر السّادة الخاصّة، يعمل بمهنيّة واحتراف في تطبيق القرارات السّياسيّة! وأيضاً كيف نظّر للصدام الحضاريّ، واستخدامه كأداةٍ في خلق عدوٍّ للولايات الأمريكيَّة المتّحدة.

وهنا نشير إلى نبوءته في الحرب الرّوسيّة- الأوكرانية، كشكلٍ من أشكال النّزاع بين المسيحيَّة الشّرقية والمسيحيَّة الغربية! وأيضًا إلى خروج الاسلام السّياسيّ الجهاديّ إلى واجهة الفعل السياسيّ، وتظهيره بصورة داعش، وإطلاق تسمية الارهاب على المجموعات الإسلاميَّة الأخرى، حتّى ولو كانت تدافع عن أوطانها كالفصائل المسلّحة الفلسطينيّة الآن.

1 - Huntington, S. (1957), pp.55-57.

ثالثًا: فرانسيس فوكوياما

لمع نجمه بصفته مفكّرًا وأستاذًا جامعيًّا، مع صدور مقاله الّذي قام بتطويره، ليصبح كتاب: «نهاية التّاريخ والإنسان الأخير». والّذي يؤكّد فيه أنَّ نهاية التّاريخ، ستكون عندما تتطوّر المجتمعات البشريّة إلى أحد أشكال المجتمع، الّذي يشبع حاجات البشر الأساسيّة -وهو عند (هيغل) الدولة اللّيبراليّة-، ويضيف إليها «فوكوياما» الدّيمقراطيّة، لتصبح الدّيمقراطيّة-اللّيبراليّة، بوصفها النّظام الأوحد في العالم بعد انهيار النّظام الاشتراكيّ المنافس، والنّقطة النّهائيّة في التّطوّر الأيديولوجيّ، وستكون الصيغة النهّائية لدولة الإنسان، وهذا ما يمثل نهاية التّاريخ. ويُبيّن أنّ نهاية التّاريخ، لا تعني توقّف دورة الحياة، وأنَّ أحداثًا مُهمّة لن تحصل، أو أنّ الصّحف الّتي تتحدّث عنها لن تصدر، فهو لا يقصد جمود الحياة وفق ما هي عليه. فالتّغيّرات البسيطة ستبقى موجودة، لكن المسائل الكبرى والّتي تتعلّق بمفهوم المؤسّسات العامّة للدّول، سوف تبقى كما هي، كون نموذج الدّيمقراطيّة - الليبراليّة، قد تلافى كلّ المسائل الشّائكة مسبقًا.

اعتقدَ «فوكوياما» أنّ الدّيمقراطيّة - اللّيبراليّة، من بين الأنظمة المختلفة الّتي ظهرت عبر التّاريخ، وبالشّكل الّذي ظلّ راسخًا حتّى نهاية القرن العشرين، وأنّ نموّ الدّيمقراطيّة اللّيبراليّة، كان أهم ظاهرة سياسيّة في السّنوات الأربعمئة الماضية[1].

إنَّ فكرة النموّ الّتي طرحها، ثَمّ عاد لنقاشها في كتابه «أصول النّظام السّياسيّ»، هي ما نودّ التّركيز عليه، حيث يُرْجِعُ «فوكوياما» أصول نظريته السّياسيّة، إلى فكرة النّموّ الّتي كان قد طرحها «شتراوس» سابقًا، لكنْ «فوكوياما» يضعها في سياق النَّظرية التّطوريّة، ليتحدّث عن تطوريّة سياسيّة، ويصنّف البشر والتّجمّعات الإنسانيّة، لدرجة أنّه يجعل للإنسان ما قبل البشريّ شكلاً من أشكال النّظام السّياسيّ.

والخطير هنا، أنّ الطّفرة الفوكوياميّة ميّزت بين إنسان النّياندرتال الموجود خارج إفريقيا، وبين إنسان إفريقيا المنتصب؛ وأنّ إنسان النّياندرتال الّذي عاشَ في أوروبا، كان متطوّرًا أكثر من الإنسان الإفريقي! وعبر التّزاوج وانتقال الجينات والعمليّات التّراكمية، حدثت طفرة تبلورت في الثّورتين الفرنسيّة والأمريكيّة -مؤكّدًا نظريّة التّفوّق العرقيّ- وبذلك حوّر الطّفرة الدّاروينيّة

1 - فوكوياما، ف. (1993)، ص81.

بما يلائم أهواءه السّياسيّة. وبذلك تكون الأنماط السّلوكية والثّقافات عند «فوكوياما» ،الجين الّذي حدثت بـه الطّفرة لتصبح متوارثة مع النوّع البشري، وهو القائل: «إنّ السّياسات البشريّة خاضعة لأنماط سلوكية معينة ومتكرّرة عبر الزّمن والثّقافات»[1]. ويستمرّ «فوكوياما» باستعراض تطوّر الأنماط السّياسيّة، ليصل إلى الفكر الحديث مع «هوبّز»، حيث ينتقد فكرته الأساسيّة الّتي تقوم على أنّ المجتمع حالة غير طبيعيّة، ويخالفه ليبني على رأي «أرسطو» القائل، بأنّ الإنسان سياسيّ بالفطرة، ويدعو أطروحة «هوبّز» بـ «مغالطة هوبز». ويكمل انتقاد كلٍّ من «جون لوك» و«سبينوزا»، بشكل يذكّر بنقد «شتراوس» لفلاسفة الحداثة، الّذين جعلوا من حقوق الإنسان مرجعيتهم، وهنا نكشف انحياز «فوكوياما» المضمر للدّولة، الّتي يرى أنّها أداة فرض القانون على حساب الحريّات الفرديَّة، المنبثقة من العقد الاجتماعيّ.

ويرى «فوكوياما» أنّ الدّولة عبارة عن تنظيم تراتبيّ، ممركز، يحتكر القوّة الشّرعية على منطقة معينة، ولا تبزغ الدّولة دفعة واحدة، بل تمر بمرحلة نموّ ونضج. ولم تشهد الحضارات القديمة بزوغ دولة بالمعنى الفيبري (نسبة لماكس فيبر)، إلّا في الصّين القديمة حيث كانت الحرب -ولا شيء سواها- السّبب في قيام الدولة. فالحرب تقتضي تنظيمًا بيروقراطيًّا، ومؤسسات، وابتكارات تقنيّة فبُنِيت دولة الصّين. وفي دول أمريكا اللّاتينيّة غياب الحرب كان السّبب في عدم ظهور الدّولة القوية. والاستعمار الغربيّ لأفريقيا حال دون ظهور دولة قويّة؛ بينما أدّى التّأخّر في ظهور الطّفرة في أوروبا، ونشوب الحربين العالميّتين، إلى ظهور ورسوخ الدّول القوميّة، الحاضن الرّئيس لفكرة الدّيمقراطية-الليبراليّة. وعلى الرّغم من عدم احتكاك دول شرق أسيا بالغرب إلّا أنّ إرثها ساعدها على مواجهة الاستعمار. كما أدّت الحرب إلى بناء الدّولة اليابانيّة، بما وفّرته من تنظيم بيروقراطيّ قويّ، وعناية بتطوير مجالات البحث العلميّ، ومركزة السّلطة[2]. وبذلك نصل إلى أنّ الفكرة الحاسمة في تشكل الدولة القوّية عند «فوكوياما»، هي الحرب أيضًا.

تُضمر فلسفة «فوكوياما» شدَّ عصب المجتمع (الدولة) من خلال الحرب دائمًا وأبدًا -وإن كانت دعوة مضمرة-، وبذلك يمكن قراءة المشهد الفلسفيّ الأمريكي بالشّكل التّالي:

- عمل "ليو شترواس" على تكريس فكرة الحقّ الطبيعيّ، ورفض فكرة حقوق الإنسان.

1 - فوكوياما، ف. (أ2016)، ص575.

2 - صالح، ع. (2009)، ص144.

- دعا للتّراتبيّة، والهيمنة، وفرض ما تراه النّخب على الأفراد والدّول، بالقوّة النّاعمة في الدّاخل عبر الأكاذيب النّبيلة، وبالنّار عبر الحروب الّتي يجب أن تبقى مستعرة.
- ضرورة تقسيم العالم إلى مجموعتين، تكون فيهما الأمّة القويّة هي المسيطرة، والفارضة لنظامها على الأمم التّابعة.
- ضرورة صناعة رسالة حضاريّة تكون حاملة للأكاذيب النّبيلة، وهي هنا فكرة الدّيمقراطيّة
- بثّ هذا الخطاب بشكل مضمر غير علنيّ، والعمل على تطبيقه.
- أكمل (هنتنغتون) عمله فلسفيًّا بفرضيته صدام الحضارات، الّتي تبدأ بتقسيم العالم إلى كتل متصارعة.
- تأكيده على فكرة الحرب بوصفها الأداة الأنجع لبقاء الدّولة قويّة.
- التّأكيد على ضرورة أن يكون الجيش أداة تنفيذ السّياسات القوميّة.
- وتابع "فوكوياما" بتطوير فكرة النّموّ، وتأصيل فكرة البيولوجيا السّياسيّة "الداروينية - السّياسيّة" وإظهار تفوّق العرق الغربيّ.
- تأصيل التّمايز القارّ لزمن بين الدّول بناء على هذا.
- نشر وتمكين النّظام "الدّيموقراطي-الليبرالي"، بكلّ الوسائل؛ للتّخفيف من حدّة التّفاوت الحضاريّ!

■ المبحث الثّاني: من هم صقور واشنطن؟

تشكّلت في التّاريخ السّياسيّ الأمريكيّ المعاصر، مجموعة أُطلق عليها لقب صقور واشنطن، اختلط على العديد من غير المتخصّصين تصنيفهم، فتارةً صُنِّفوا مع المحافظين الجدد، وتارةً أخرى مع التّيار المحافظ التّقليدي، ومنهم من كان ذا خلفيّة حزبيّة ديمقراطيّة. ومن أبرز شخصيّات الصّقور من الجمهوريّين: وزير الدّفاع الأمريكيّ السّابق "دونالد رامسفيلد"، ونائب الرّئيس الأمريكيّ "ديك تشيني"، ووزيرة الخارجيّة الأمريكيّة السّابقة "كونداليزا رايز". ومن الدّيمقراطيّين: وزيرة الخارجيّة "هيلاري كلينتون"، والجنرال "جون أبي زيد"، والجنرال "ويزلي كلارك"، والسناتور (مارك وارنر)، وغيرهم العديد من الشّخصيّات، التي تميل سياساتهم نحو الجذرية والصدام والتحرر من أي ضوابط أخلاقية؛ من أجل المصلحة القوميّة العليا، ويميلون للنّزعة التّدخليّة العسكريّة "كأداة

للفعل في السياسة الخارجية .."[1].

لقد تشرَّبت أغلب الشَّخصيَّات السّياسيّة المؤثِّرة، الفكر الشّتراوسيّ وتبنَّته، بل إنَّ المحافظين الجدد أنفسهم، كانوا يتقلّبون في انتسابهم الحزبيّ بالمعنى التّنظيميّ، وفْق ما تقتضيه معايير القوّة. فمثلاً: ترك المحافظون الجدد الحزب الدّيمقراطيّ[2] لصالح الحزب الجمهوريّ[3] بشكلٍ واضح؛ لأنّ الرّئيس «جيمي كارتر» كان ليّنًا جدًّا في التّعامل مع السّوفيات، وفي النّزاع بين إسرائيل وجيرانها العرب[4].

هذا، وحسَب وصفهم "ما لبث الإيمان بنفوذ أشباح المحافظين الجدد، أن تبلور ليتحوّل إلى معرفة عامّة صلبة، فأولئك الموسومون بأنّهم محافظون جدد، دائبون على التّجوال في دوائر شديدة الاختلاف والتّباين، دون أن يكونوا بالفعل كثيفي التّواصل فيما بينهم"[5]. وبذلك شكّلت الأفكار السياسية لـ"شتراوس" وتلامذته مرجعيّة لفلسفة القوّة الّتي طغت على السّياسة الأمريكيّة، وانتشرت بين الشّخصيّات الفاعلة سياسيًّا وإن بدا ظاهراً التناقض السياسي بين هذه الشخصيات. وهكذا، خرج إلى الوجود ما اصطُلح على تسميته بـ"مثلث الرّعب"، وهو اجتماع الجمهوريّين مع أتباع الفكر المحافظ، مع أنصار اليمين الدّينيّ المتطرّف بشكلٍ غير مسبوق تاريخيًّا[6].

● دخل مصطلح المحافظين الجدد المعجم الأمريكيّ الحديث، في سبعينيّات القرن العشرين، وأوّل من استخدم هذا المصطلح هو "مايكل هارينغتون"[7]، ومحرّر مجلّة «ديسنت» الأمريكيّة اليساريّة[8]، للإشارة إلى بعض الأشخاص الّذين تحولوا من اليسار اللّيبراليّ إلى اليمين، بسبب تردّد اليسار في الوقوف بوجه السّوفيات والراديكاليين "المعادين للولايات المتّحدة"[9]، وهم ليسوا حزبًا ولا منظمة، وليسوا مؤسّسة، ولا مكتبًا سياسيًّا له مقرّات، أو أعضاء ينتمون إليه

1 - أبو نحل، ح. (2008)، ص54.

2 - Democratic Party.

3 - Republican Party.

4 - Drury, S. (1999), p.152.

5 - بلير. ت. وآخرون (2005)، ص67.

6 - عبد اللطيف، أ. (2003)، ص9.

7 - Michael Harrington.

8 - Dissent.

9 - هالبر، س. وكلارك، ج. (2005)، ص63.

بالعضويّة أو لوائح داخليّة، بل هم مجموعة من الكتّاب، والمفكّرين السّياسيّين النّاشطين، الّذين في أغلبيتهم كانوا ينتمون إلى الفكر اليساريّ في عقد السّتينيّات من القرن العشرين؛ أعدادهم محدودة نسبيًّا، كما أنّ هذا النّهج المحافظ الجديد لا يملك إعلانًا مشتركًا، ولا دينًا، ولا عَلَمًا، ولا نشيدًا، ولا مصافحة سريّة.

إنّ معظم الأفكار والمواضيع المسيطرة على المحافظين الجدد، هي حجر الأساس في الأفكار السّياسيّة الشتراوسيّة: الانهماك في الدّين، إدانة النّزعة العدميّة مصدر أزمة النّزعة اللّيبراليّة في الغرب، نقد النّزعة العقلانيّة لعصر النّهضة، كراهيّة النّزعة اللّيبراليّة، التّأكيد على النّزعة القوميّة، العناية بدور المفكرين في السّياسة[1].

ويقسّم المشتغلون بالفكر السّياسيّ تاريخ المحافظين الجدد إلى جيلين:

- الجيل الأوّل الّذي شكّل حركة فلسفية ذات أهمية سياسيّة للمجتمع الأمريكيّ، حيث كان مؤسِّسو المحافظين الجدد أمثال: "إيرفينغ كريستول"، "نورمان بودهورتز"، "دانيال بل"، يهتمّون بالتّحديّات الدّاخليّة الّتي تواجه المجتمع الأمريكيّ، والتّحديّات الدّولية الّتي لديهم مفاهيم خاصّة بها، حيث كانوا يدافعون بثبات عن "إسرائيل"، ويرفضون التّردّد في التّصدّي لـ"شرور" الشّيوعيّة[2].
- أمّا الجيل الثّاني فقد تشكّلت ملامحه بعد انهيار الاتّحاد السّوفياتيّ، وهم من أبناء وتلامذة الجيل الأوّل. وفي حين كان الجيل الأوّل أقرب للحياد الحزبيّ، نرى الجيل الثّاني حاسمًا أمره بالانحياز صوب اليمين، كما أنّ خطاب الجيل الأوّل كان موجّهًا إلى النّخبة المثقّفة، بينما تميّز خطاب الجيل الثّاني بالنّزعة الشعبوية.

وهنا برز تكامل الأدوار بين الجيلين. فالجيل الأوّل صعد في فترة خيّم فيها على الرأي العامّ الأمريكي، شعورٌ بعدم الثّقة في القوّة والسّياسة الأمريكيّة، نتيجة ما حصل في فيتنام، فسعى هذا الجيل إلى إعادة الثّقة المفقودة لدى الأمريكيّين؛ بينما صعد الجيل الثّاني بعد انتصار الولايات المتّحدة الأمريكيّة في الحرب الباردة، متبنيًّا هدفًا مختلفًا وهو كيفيّة استخدام الولايات المتّحدة لقوّتها وموقعها الدّوليّ غير المسبوق، كقطب العالم الأوحد في تحقيق أهداف أمريكا وتشكيل العالم وفقًا لرؤيتها.

---

1 - Drury, S. (1999) p.138.

2 - هالبر، س. وكلارك، ج. (2005)، ص.ص.60-59.

يتقاطع الجيلان في الرّؤى والأهداف، وإن اختلفا في آليات التّطبيق، نتيجةً لاختلاف الظّروف الموضوعيّة، كلا الجيلين تبنّى أفكار "شتراوس" السّياسيّة، والتي قامت على ثلاثة أعمدة: "الدّين (religion)، النّزعة القوميّة (nationalism)، والنّمو الاقتصاديّ (economic growth)، وما يقوله تلامذة "شتراوس" عن أفكار المحافظين الجدد، يُجْمِله "فوكوياما" بأربعة مبادئ مشتركة، أو خيوط امتدّت عبر الكثير من هذا الفكر من بدايته، واستمرارًا عبر الحرب الباردة وإلى نهايتها، وهي اهتمام بالدّيمقراطيّة، وحقوق الإنسان، واهتمام أكثر عموميّة بالسّياسات الدّاخلية للولايات، والاعتقاد أنّ قوّة الولايات المتّحدة يمكن أن تُستخدَم في سبيل أغراضٍ أخلاقيّة، وارتياب بشأن قدرة القانون الدّوليّ والمؤسّسات الدّوليّة على حلّ المشكلات الأمنيّة الجادّة، وأخيرًا رؤية ترى أنّ الهندسة الاجتماعيّة الجامحة، تؤدّي في الغالب إلى عواقب غير متوقّعة، وتقوّض في الغالب غايتها الخاصّة التي تغنيها[1].

أما فيما يخصّ الفعل السّياسيّ المتعلّق بهذا التّيار، فقد بدأ بمجموعات ضغط وتحالفات بين مختلف المؤسّسات السّياسيّة، والاقتصاديّة، والعسكريّة، وتطوّر ليمسك دفّة الحكم في عهد «جورج بوش» الابن، ولا يزال حاضرًا بشخوصه المؤثّرة في مواقع القرار السّياسيّ حتّى وقتها. وقد بدؤوا بتأثيرٍ واضح، لدرجة أنّه في السّابع عشر من كانون الأوّل سنة 1961 ألقى الرّئيس «دوايت أيزنهاور» خطابًا إلى الأمّة الأمريكيّة، بمناسبة انتهاء ولايته دُعِيَ بـ"خطاب الوداع"، ورد فيه: «عليّ أن أقول صراحة إنّ هناك الآن مجموعة صناعيّة عسكريّة، ماليّة، سياسيّة، وفكريّة، تمارس نفوذًا غير مسبوق في التّجربة الأمريكيّة. وأودّ أن ألفتَ النّظر إلى أنّه إذا وقع القرار الأمريكيّ رهينة لمثل هذا المجمع الصّناعيّ العسكريّ وأطرافه، فإنّ الخطر سوف يصيب حرّياتنا وممارستنا الدّيمقراطيّة، كما أنّه قد يصل إلى حيث يمكن حجب الحقائق عن المواطنين الأمريكيّين، والخلط بين أمن الشّعب الأمريكيّ وحرّياته، وبين أهداف هذا المجمع ومصالحهم».[2]

■ المبحث الثّالث: نماذج تطبيقيّة لفلسفة القتل الأمريكيّة

انطلق «هينتغتون» في فكرته حول صدام الحضارات -كما هو ظاهر- من تصوّرٍ عامّ مفاده أنّ

1 - فوكوياما، ف. (2007)، ص21.
2 - احسان، و. (2017)، ص185.

الحضارات سوف تضطلع في المستقبل القريب بدور مؤثّر وفعّال في خريطة السّياسة الدّوليّة، وقد ركّز بشكل لافت على الصّدام بين الإسلام والغرب، والّذي سيكون أكثر حدّةً ودمويّة. وبذلك، بدأ التّأسيس لخلق عدوّ من صلب الإسلام، وقد وجدت أمريكا ضالّتها في القوى الإسلاميَّة الّتي دعمتها ماليًّا وعسكريًّا في أفغانستان، أثناء حربها مع الاتّحاد السّوفياتيّ، فقامت بتوجيه الحكومات العربيّة والإسلاميَّة بإطلاق المتطرّفين الإسلاميّين من سجونها، فأولئك الّذين توجّهوا إلى أفغانستان للمطالبة بإقامة حكم إسلاميّ يعيد "أمجاد الدّولة الإسلاميَّة"، هم أنفسهم من سيقومون لاحقًا بهجوم 11 سبتمبر، الذي استهدف برجي التّجارة العالميّة في الولايات المتّحدة الأمريكيَّة، وأثار الرعب عند الجمهور الأميركي من عدوٍّ جديد هو "الإرهاب الإسلامي"، وبذلك أصبح المجتمع الأمريكيّ جاهزًا للحرب ضدّ العدوّ ضمن ما سُمّيَ في أدبيات الاستراتيجيا الأميركية: "حرب المئة عام"! فكان غزو أفغانستان، وغزو العراق.

كثيرةٌ هي الدّراسات الّتي عالجت غزو العراق، وكثيرةٌ هي التّحليلات الّتي أرجعت هذا الغزو إلى أفكار المحافظين الجدد، وبشكلٍ خاصّ حين انكشاف «أكاذيب نبيلة» بامتلاك نظام «صدام حسين»، لأسلحة الدّمار الشّامل الّتي إنْ وصلت لأيدي الإرهابيّين، قد تُفني العالم. وهي الفكرة نفسها، الّتي كانت تُطرح من قبل «شتراوس»، لتبريره نخبويّة المعرفة، والتّأكّد من فشل الأمريكيّين من تصدير «الدّيمقراطيّة» إلى هذا البلد وفق الادّعاءات المرافقة للغزو. إنّ الدّمار الهائل الّذي أَلَمَّ بهذا البلد والقتل المروّع، وانكشاف الهمجيّة الأمريكيَّة، كلّ هذا أدّى إلى احتجاجات واسعة النّطاق في المجتمع الأمريكي، وإلى كبح استخدام القوّة المفرط، وظهرت الحاجة إلى استخدام نمط جديد من القتال من أجل فرض السَّيطرة، الأمر الّذي حدا بالمحافظين الجدد والصّقور الأمريكيّين، إلى التّراجع خطوة إلى الوراء، وترك السّاحة السّياسيّة للدّيمقراطيّين الّذين أسبغوا على الحروب الصّبغة الدّيمقراطيّة، وفعّلوا نمط حروب الجيل الرّابع من جديد[1]، فالحرب يجب أن تبقى دائرة، كما يجب على العدوّ أن يبقى متربّصًا.

1 - حرب الجيل الرّابع (4GW): اتفق الخبراء العسكريّون بأنّ حرب الجيل الرّابع هي حرب أمريكيّة صرفة طوّرت من قبل الجيش الأمريكيّ وعرفوها بـ "الحرب اللاّ متماثلة" بالإنجليزية: (Asymmetric Warfare). تستخدم فيها وسائل الإعلام الجديد والتّقليديّ، ومنظّمات المجتمع المدنيّ، والمعارضة، والعمليّات الاستخبارية، والنّفوذ الأمريكيّ في أيّ بلد، لخدمة سياسات"البنتاغون" ومصالح الولايات المتحدة الأميركية.

بدأت الولايات المتّحدة الأمريكيَّة بتطبيق هذا النّمط من الحروب في آسيا الوسطى. فقد شهد التّاريخ السّياسيّ المعاصر، في العقد الأوّل من القرن الحادي والعشرين، قيام ثورات دُعيت بالثّورات الملوّنة، وهي ما اصطلح على تسميته في السّياسة "حروب الجيل الرّابع"، حيث يتمّ التّدخّل السّياسيّ في الدّول، عبر تأليب الدّاخل في الدّول المستهدفة على أنظمة الحكم القائمة فيها. الثّورات الجديدة الّتي حملت أسماء منسوبة إلى ألوان مختلفة -نسبة إلى الإعلام أو الشّعارات أو الرّموز الّتي رفعت خلالها- بدت في ظاهرها أنّها تدشّن فكرًا جديدًا، يتناسب ورواج رياح الحرّيّة، والدّيمقراطيّة، والمساواة، وحقوق الإنسان بين مختلف دول العالم، وبدا أيضًا أنّها تحمل في طيّاتها، نماذج يمكن لكثير من الشّعوب الّتي تكتوي بنيران "الحكم الدّيكتاتوريّ" الاقتداء بها؛ من أجل الخروج من هذا الواقع الّذي يقتل الأمل في غدٍ أفضل، ولكن في باطنها، فإنّ تلك الثّورات كان يجمعها هدف واحد؛ وهو تغيير الزّعيم غير المنسجم كليًّا مع المصالح التّجاريّة والسّياسيّة لرأس المال الأمريكيّ، ليحلّ محلّه زعيم أكثر انسجامًا مع هذه المصالح، زعيم يكون غالبًا تحت السَّيطرة؛ وبالتّالي أصبح الحكّام الجدد لتلك الدّول، لا يجمع بينهم جامع سوى الوصول إلى السّلطة، عبر الولاء للإدارة الأمريكيَّة، هذا الأسلوب استخدم في صربيا، وجورجيا، وأوكرانيا، وقيرقيزيا، وبيلاروسيا، وغيرها من الدّول.

وبحسب تحقيق أَجْرَتْه صحيفة "الهيرالد تريبون"، أنّ فريقَ عمل أمريكي أقام مدّة شهور في فندق في مدينة بوادبست، ومعه خطّة إشعال ثورة شعبيّة ضدّ حكومة بلغراد، وقد نفذّت عن طريق تدريب عشرات من نشطاء الصّرب، وعاد هؤلاء بعدئذٍ إلى تدريب آخرين على صياغة شعارات، ورسم ملصقات، وتحريض الجماهير، واختيار الشّوارع والميادين المناسبة للتّظاهر. وبعد سنوات انتقل بعض هؤلاء النّاشطين إلى جورجيا، وكانت الظّروف المتدهورة فيها قد مهّدت الشّعب للثّورة على نظام الرّئيس "إدوارد شيفارنادزة". بالتّعاون بين فريق النّشطاء الصّربيّين، ونشطاء جورجيّين، وفريق أمريكيّ؛ وضِعت الشّعارات المناسبة، وجرى التّخطيط لتسيير مظاهرات، وتمّ تحديد مساراتها، واختير لون آخر من ألوان الطّيف، وكان في هذه الحالة اللّون الزّهريّ، فسميت بثورة الزّهور أسوة بالثّورة المخمليّة، الّتي أسقطت حكم الشّيوعيّة في براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا. وسقط نظام "شيفارنادزة"، وتولى الرّئاسة رئيس

جديد بمواصفات معيّنة، واستعدّ فريق الثّورات للانتقال إلى الهدف الثّالث، وكان قد استقرّ الرّأي في الولايات المتّحدة -وربّما في دول أوروبيّة غربيّة- على أن تكون أوكرانيا هي الهدف التّالي فنزل الثّوّار في العاصمة كييف، ملوّحين برايات، ومرتدين ملابس باللّون البرتقاليّ، وكان الإعلام الغربيّ في انتظار تظاهرات عارمة تستمرّ ليلاً ونهارًا، تحمل الشّموع البرتقاليّة، وترفع ملصقات برتقاليّة. وفي النّهاية أعلن المتظاهرون النّصر. وقد تنبّهت بعض وسائل الإعلام الغربيّة، إلى بعض الحقائق المحيطة بتلك الثّورات ذوات الألوان الزّاهية؛ فكتبت صحيفة "الغارديان" البريطانيّة مقالاً عقب انتشار اللّون البرتقاليّ، ليغطي شوارع مدينة "كييف" الأوكرانيّة احتجاجًا على نتائج الانتخابات قائلة: «إنّ فكرة الثّورة الشّعبيّة في البلدان الخارجة من الحكم الشّيوعيّ، ليست أكثر من أسطورة»[1].

إنّ نجاح هذا النّمط من الحروب، استدعى ضرورة تطبيقه مع العدوّ الجديد لأمريكا «الإسلام»، وبشكلٍ خاصّ بعد فشل النّمط التّقليديّ للحروب في العراق وأفغانستان، وهذا ما حصل مع انطلاق ما اصطلح على تسميته بـ «الربيع العربي» في تونس، ثمّ مصر، فليبيا، واليمن، وأخيراً سوريّة. حيث كان الحضور الأمريكيّ واضحًا في دعم «ثورات التّغيير الدّيمقراطيّ»، هذا الدّعم الّذي سيحاول خلخلة كلّ الأنظمة، الّتي ترغب الولايات الأمريكيَّة المتّحدة في تغييرها في المنطقة، لكنّ المقاومة الشّعبية حالت دون نجاح هذا المشروع، وبشكل خاصّ في سوريّة واليمن، ولا زال الحدث قائمًا والصّراع على أشدّه تحديدًا بعد دخول قوى المقاومة الفلسطينيّة في حرب غزّة الآن ودعمها من قبل محور المقاومة برمّته، ذلك أنّ نجاح المخطّط الأمريكيّ في هذه المنطقة، قد يطال في نهاية المطاف دولاً أخرى، هي على التّضادّ مع أمريكا-كالصين، وروسيا، وإيران- وفقاً لِمَا نظّر له "هنتغتون" و "فوكوياما" من خطورة لتلك الحضارات على الولايات الأمريكيَّة المتّحدة.

هذا، وبسبب تطبيق السّياسة المتأثّرة بفكر الصّقور، كانت النّتيجة ملايين الضّحايا، وعشرات الدّول، وخراب، ودمار، وتشريد وقتل، وخلخلة الاستقرار الدّوليّ. فلسفة القوّة، والتّراتبيّة الإنسانيّة والدّوليّة، وفضيلة التّفوّق، والنّظام الأفضل يبدو كلّه الآن واضحًا بالنظر إلى النتائج المدمرة التي ألمّت بالمنطقة بأسرها. تجربة الرّوح الشّتراوسية في المنطقة العربيّة والإسلاميَّة، ستدعو العديد من معتنقيها لإعادة النّظر فيما اعتنقوا، فلا يمكن لعقلٍ أو قلبٍ إنسانيٍّ تسويغ كلّ

1 - السّعداوي، ع. (2006)، ص3-1.

هذا الحجم من الدّمار، وكلّ هذا العدد من الضّحايا.

لا بدَّ من إيجاد المنهجيّة المناسبة لدعوة الفلاسفة المتضامنين مع فلسطين، بإعادة قراءة الفلسفة السّياسيّة الّتي تتبنّاها حكوماتهم، ونقدها وتفنيدها، لصالح حوار الحضارات وفلسفة التّسامح، بدلاً من صدام الحضارات ونهاية التّاريخ وفلسفة القوّة والقتل.

الخاتمة

إنّ سياسة الحروب والقتل ليست سوى تطبيق عمليّ لتنظير فلسفيّ أمريكيّ، قام به العديد من الفلاسفة السياسيّين، بعد أن شيّدوا بناءهم الفلسفيّ على أُسسٍ تبدو في الظّاهر أخلاقيّة، وتدّعي نشر الفضيلة السّياسيّة، إلّا أنّها تدعو في حقيقة الأمر إلى هيمنة النّظام الأمريكيّ على العالم، وقد توضّح هذا من خلال تنظير "ليو شتراوس" لمفهوم "النّظام السّياسيّ الأمثل"، وضرورة نشر الفضيلة السّياسيّة، عبر "الأكاذيب النّبيلة"، ليكمل "هنتغتون" سرديّة أستاذه السّياسيّة بالقول بنظرية صدام الحضارات، ثمّ ليكمل "فوكوياما" المشهد بحديثه عن نهاية التّاريخ المتجسّدة بالنّمط الدّيموقراطي-الليبرالي، القاسم الأوضح في هذا المشهد، كان التّنظير للحرب كضرورةٍ مُلِحّة في صعود وتماسك الحضارات.

المراجع والمصادر:

اللّغة العربيّة:

1. أبو نحل، ح. (2008) المحافظون الجدد و تأثيرهم على السّياسة الخارجيّة الأمريكيَّة في الشّرق الأوسط، مشروع نشر الدّيمقراطيّة نموذجًا 2001-2008، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، غزّة.

2. إحسان، و. (2017) قراءة جديدة للتّاريخ، مركز الكتاب الأكاديميّ، ط1، عمان.

3. بلير. ت. وآخرون (2005) توني بلير، كونداليزا رايس، مارغريت تاتشر وآخرون، المحافظون الجدد، تحرير: آرون ستلزر، تعريب: فاضل جكتر، مكتبة العبيكان، ط1، الرّيّاض.

4. السّعداوي، ع. (2006) الثّورات الملوّنة في آسيا الوسطى، مركز الحضارة للدّراسات السّياسيّة، العدد 7 (31 ديسمبر/كانون الأول 2006).

5. صالح، ع. (2009) أصول النّظام السّياسيّ وتطوّره وانحطاطه:مراجعة كتابي فوكوياما عن أصول النّظام السّياسيّ، مجلّة سياسات عربيّة، قطر، العدد43.

6. عبد اللّطيف، أ. (2003) المحافظون الجدد قراءة في خرائط الفكر والحركة، مكتبة الشّروق الدّوليّة، ط1، القاهرة.

7. فوكوياما، ف. (1993) نهاية التّاريخ والإنسان الأخير، ت:حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للنّشر، ط1، القاهرة.

8. فوكوياما، ف. (2007)، أمريكا على مفترق الطّرق (ما بعد المحافظين الجدد)، ت: محمّد محمود التّوبة، مكتبة العبيكان، الرّيّاض.

9. فوكوياما، ف. (أ2016) أصول النّظام السّياسيّ من عصور ما قبل التّاريخ إلى الثّورة الفرنسيّة، ت: معين الإمام / مجاب إمام، دار الكتب القطريّة، قطر.

10. فوكوياما، ف. (ب2016) النّظام السّياسيّ والانحطاط السّياسيّ من الثّورة الصّناعيّة إلى عولمة الدّيمقراطيّة، ت:معين الإمام/مجاب إمام، دار الكتب القطريّة، قطر.

11. هالبر، س. وكلارك، ج. (2005) التّفرّد الأمريكيّ: المحافظون الجدد والنّظام العالميّ، ت: عمر الأيوبيّ، ط1، دار الكتاب العربيّ، بيروت.

12. هنتغتـون، ص. (2005) من نحن؟ التّحديات الّتي تواجه الهويّة الأمريكيَّة، ت: حسـام الدّين خضور، دار الرأي، ط1، دمشق.

13. هنتنغتـون، ص. (1999) صـدام الحضـارات، إعادة صنع النّظـام العالمي، ت: طلعت الشّايب، تقديم صلاح قانصوه، كتاب نسخة الكترونيّة.

اللّغة الإنكليزيّة:

1. Drury, S. (1999) Leo Strauss and the American right, United states of America press, New York.

2. Huntington, S. (1957) The soldier and the state, the theory and politics of civil-military relations, Harvard university press.

3. Strauss, L. (1988) Persecution and the Art of Writing, University Of Chicago Press.

4. Strauss, L. (1978) The city and Man, University Of Chicago Press.

5. Strauss, L. (1999) Natural Right and History, University Of Chicago Press.